

كن تائباً

مكتبة العوتاني



سلسلة كُن

٣

كُن تائباً

إعداد
صفاء حامد

إشراف
عاطف عبد الرشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

التَّوبَةُ هبَةٌ غَاليَةٌ يهَبُهَا اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِعبَادِه الصالحينَ، فهِيَ كالماءِ الَّذي بِدُونه تَهْلكُ الحيَاة. ولكَيْ يتوبَ الإنسانُ، فلا بُدَّ أنْ يَنْدمَ عَلَى مَا فَعَلَ مِنَ الذنُوبِ والآثَامِ، وَيعْزمَ عَلَى تَرْكِهَا مَخَافَةَ وَجْهِ الله تَعَالَى؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١].

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بَابَ التَّوبَةِ مَفْتُوحًا عَلَى الدَّوَامِ، قال ﷺ: "إنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا (أي حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)" [مسلم].

وقال ﷺ: "إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ (مَا لَمْ تَخْرجْ الرُّوحُ مِنَ الجَسَدِ)" [أحمد والترمذي].

والتَّائِبُ إِلَى رَبِّهِ يَنَالُ مَغْفِرَةَ اللهِ. يَقُولُ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

ولِلتوبَةِ مكانةٌ عَظِيمةٌ عِنْدَ الله تَعَالَى؛ إِذْ هِيَ خَيْرٌ خَالِصٌ لِصَاحِبِهَا. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [التَّوبة: ٣].

كُنْ تَائِبًا

التَّوبَةُ نِعْمَةٌ كُبْرَى مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يمَنَحُهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعبَاده الصالحينَ، فَمَنْ تَابَ عَنْ ذَنْبِهِ تَوْبَةً صَادِقَةً منحهُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَغُفْرانَهُ، ولِلتَّوبَةِ أبْوابٌ شَتَّى، مِنْها:

كُنْ تَائِبًا عَن الكَبَائِرِ

الكَبَائِرُ هِيَ الذُّنُوبُ العِظَامُ، والآثَامُ الجِسَامُ، الَّتِي قَدْ يُبْتَلَى المَرءُ بِفِعْلِهَا، وَعَلَيْهِ ـ وَقْتَئِذٍ ـ أنْ يَتُوبَ عَنْها دُونَ العَوْدَةِ إلَيها ثَانِيَةً. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [آل عمران: ١٣٥].

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق التَّوبَةِ عَن الكَبَائِرِ بِمَا يَلِي :

للتوبةِ شروطٌ يجبُ علَى التائبِ أنْ يؤديهَا لأهلِهَا، وهيَ: الاعترافُ بالذنبِ، والندمُ، والعزمُ علَى عدمِ العودةِ إلى فعلِه، وردُّ الحقوقِ إلَى أهلِهَا ما استطاعَ.

١ـ الاعتِرافُ بِالذَّنْبِ : تكُونُ تَوْبَةُ العَبْدِ عنِ الكَبَائِرِ بِأنْ يَعْتَرِفَ بِذَنْبِهِ، وَأَنْ يُقرَّ بِتَقْصِيرِهِ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالى. يَقُولُ



تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢].

٢ ـ النَّدمُ عَلَى الذَّنْبُ : لاَ تَصِحُّ تَوْبَةُ العَبْدِ مَا لَمْ يَنْدَمْ عَلَى ذُنُوبِهِ ، فالنَّدَمُ دَلِيلٌ عَلَى عَزْمِ المُذْنِبِ عَلَى عَدَمِ العَوْدَةِ للذُّنُوبِ ثَانِيَةً. يُرْوَى أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ أسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِالشِّرْكِ ، لَكِنَّهُ نَدمَ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَالرِّدَّةُ إحْدى الكَبائِرِ ، فأرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ : سَلُواْ لِي رَسُولَ الله ﷺ : هَلْ لِي مِنْ تَوْبَة ؟ فَنَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٨٦ـ ٨٩].

٣ ـ صِلَةُ الرَّحِمِ : جَعَلَ اللهُ صِلَةَ الرَّحِمِ مِنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَيْهِ ، وأكْثَرِهَا ثَوابًا وَجَزاءً. فقدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا ، فَهَلْ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَسَأَلَهُ ﷺ عَنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ يَبِرّهُ ، فَقَالَ لَهُ :

" هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟". قَالَ: لاَ. فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: "هَلْ لَـكَ مِـنْ خَالَةٍ؟". قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ. فَقَالَ ﷺ: "فَبِرَّهَا " [التِّرمذي].

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُق التَّوبَةِ عن الكَبَائِرِ :

١- المغفرةُ : إِذَا صَدَقَ المَرْءُ فِي تَوبَتِه عَن الكَبَائِر، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ ويَغْفِرُ ذُنُوبَهُ. يَقُولُ تَعَـالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشُّورَى: ٢٥].

٢- مَحبَّـةُ اللهِ : يَحْظَـى التَّائِـبُ عَـنِ الكَبـائِرِ بِحُـبٍّ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ ، وكَفَاهُ أَنْ يَنَالَ حُبَّ اللهِ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ . قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٣- رَفْعُ العَذَاب : يَرْفَعُ اللهُ العَذَابَ عَنِ التَّائِبِ الصَّـادِقِ فِي تَوْبَتِهِ، إِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ــ غَفَّـارُ الـذُّنُوبِ. قَـالَ تَعَـالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٤- فَرَحُ اللهِ بِتَوْبَتِهِ : لاَ عَجَبَ أَنَّ اللهَ ـ سُـبْحانَهُ ــ يَفْـرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِه المُذْنِب، إِذَا عَادَ إِلَيْه بَعْدَ عِصْيَانِه. عَنْ عَبْد الله بْـنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَلَّهُ أَفْـرَحُ بِتَوبَةِ العَبْدِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا

طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَومَةً فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ والعَطَشُ، أَوْ مَا شَاءَ اللهُ. قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي. فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ" [ابنُ مَاجَه].

كُنْ تَائِبًا عَنِ الصَّغَائِرِ

الصَّغَائِرُ هِيَ الذُّنُوبُ الصَّغِيرَةُ، وهيَ دُونَ الكَبَائِرِ، وَهِيَ أَيْضًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإنْسَانِ أَنْ يَتُوبَ عَنْهَا، وَلاَ يَسْتَصْغِرَ شَأْنَها. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النَّجم: ٣٣]. وكمَا يُقَالُ:

لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الجِبَالَ مِن الحَصَى

*** كُنْ مُلْتَزِما بخُلُقِ التَّوبَةِ عَنِ الصَّغَائِرِ بِمَا يَلِي:**

١- **سُرعَةُ العَوْدَةِ إلَى اللهِ**: المُسْلِمُ إِذَا صَدَقَ فِي تَوْبَتِهِ عَنِ الصَّغَائِرِ كَانَ سَرِيعًا فِي عَوْدَتِهِ إِلَى رَبِّهِ دُونَ تَخَاذُلٍ أَوْ تَرَاجُعٍ. يَقُولُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ولمَّا قتلَ نفسًا سارعَ فقالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾.

٢- **الإِقْلاَعُ عَنْها**: يكُونُ المَرْءُ تَائبًا عَنِ الصَّغائرِ بالإقْلاَعِ عَنْها، والفِرَارِ منْها، وَألاَّ يَعُودَ ثَانيَةً إلَيْها. مَرَّ الصَّحابِيُّ الجَليلُ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَلَى فِتْيَانٍ فِي الكُوفَةِ يَشْرَبونَ الخَمْرَ، وَفِيهِم مُغَنٍّ يُقَالُ لَهُ "زَاذَان"، وكَانَ "زَاذَان" ذَا صَوتٍ حَسَنٍ، فَلَمَّا سَمِعَهُ عَبْدُ الله، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الصَّوت لَوْ كَانَ يَقْرأُ كِتَابَ الله، فَسَمِعَ "زَاذَانُ" ذَلكَ فقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُواْ: عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: وَأيُّ شَيءٍ قَالَ؟ قَالُواْ: إنَّهُ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الصَّوْت لَوْ كَانَ بِقِرَاءَة القُرآن. فَقَامَ وَضَرَبَ العُودَ عَلَى الأَرْضِ فَكَسَرَهُ، ثُمَّ أَسْرَعَ فَأَدْرَكَ عَبْدَ الله ابنَ مَسْعُودٍ، وَجَعَلَ يَبْكِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فاعْتَنَقهُ عَبْدُ الله، وأخَذَ يَبْكِي كُلٌّ مِنْهُما. ومن يومها تَاب زاذان مِنْ ذُنُوبِه إِلَى الله، وَلاَزَمَ ابْنَ مَسْعُودٍ حَتَّى تَعَلَّمَ القُرآنَ، وأخَذَ حَظًّا مِنَ العِلْمِ حَتَّى صَارَ إِمَامًا فِيه.

٣-**الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ الله**: صَدَقَةُ العَبْد تُطْفِئُ غَضَبَ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ وتُكَفِّر الخَطَايَا والذُّنُوبَ. يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٣ ـ ١٠٤].

٤-عَدَمُ اسْتِصْغارِ الذَّنْبِ: يَعْظُمُ الذَّنْبُ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ لعِلْمِه بِجَلاَلِ الله ـ سُبْحَانَهُ ـ فَإذَا نَظَرَ إِلَى عِظَمِ مَنْ عَصَاهُ، اسْتَعظَمَ صَغيرَتَهُ. قالَ ﷺ: " المُؤمِنُ يَرَى ذَنْبَهُ كَالْجَبَلِ فَوْقَهُ، يَخَافُ أَنْ يَقعَ عَلَيْهِ، والمُنَافِقُ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَأَطَارَهُ". [البخاري].

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّوبَةِ عَنِ الصَّغائِر:

١- إبْدَالُ السَّيِّئاتِ حَسَنَات: يَجزِي اللهُ التائبينَ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنْ يُبَدِّلَ سَيئاتِهِم حَسَنَاتٍ، وَهُوَ مَا يُدنِيهِمْ مِنَ الجنَّة. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفُرقان: ٧].

٢- دُخُولُ الجنَّة: الَّذي يَبْتَعِدُ عَنِ الكَبائِرِ، ويَتُوبُ مِنَ الصَّغَائِرِ، يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، غَفرَ لَهُ، وَمَنْ

غفر لَهُ، أَدْخَلَـهُ الجنَّـةَ؛ يقُـولُ تَعَـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

٣ ـ اسْتِجابَةُ الدُّعَاءِ: العَبْدُ الَّذِي يَقَعُ فِي اقْتِراف الآثَـام الصِّغَارِ، ويُقْلِعُ عَنْها، يَقْبَلُ اللهُ تَوْبَتَهُ، ويَكُونُ مُسْتَجابَ الدُّعَاء؛ وَرَدَ عَنِ الْحَسَنِ البَصْرِيِّ ـ رحمهُ اللهُ ـ أَنَّهُ قَـالَ: أَوْحَـى اللهُ إِلَـى آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: "يَا آدَمُ، وَرَّثْتَ ذَوِيـكَ التَّعَـبَ والنَّصَـبَ، وَوَرَّثْتُهُمُ التَّوبَةَ، فَمَنْ دَعَـانِي مِـنْهُم لَبَّيْتُـهُ كَمَـا لَبَّيْتُـكَ، وَمَـنْ سَأَلَنِي المَغْفِرَةَ لَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ؛ لأَنِّـي قَرِيـبٌ مُجِيـبٌ. يَـا آدَمُ، وَأَحْشُرُ التَّائِبِينَ مِنَ القُبُـورِ مُسْتَبْشِـرِينَ ضَـاحِكِينَ، وَدُعَـاؤُهُم مُسْتَجَابٌ"[١].

كُنْ تَائِبًا عَنِ البِدَعِ

البِدَعُ هِـيَ كُـلُّ مَـا يُسْـتَحْدَثُ فِـي الـدِّينِ مِـنْ عِبَـاداتٍ وعقائدَ، فَلاَ هِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلاَ مِنْ سُنَّةِ رَسُـولِهِ، وَلاَ مِنْ إِجْمَـاعِ الصَّـحابَةِ أَو التَّـابِعِينَ أَو العُلَمَـاءِ فِـي عُصُـورِ الإِسْلاَمِ. وعاقبـةُ البـدعِ أليمـةٌ؛ قَـالَ تَعَـالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّوبَةِ عَنِ البِدَعِ بِمَا يَلِي :

١ ـ عَدَمُ اتِّبَاعِ الهَوَى : إنَّ الأصْلَ فِي البِدْعَةِ اتِّبَاعُ الهَوَى، وإعْجَابُ المرءِ بِنَفْسِهِ، وتَشبُّثُه بِرأيه. طَافَ يعْلَى بنُ أُمَيَّةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مَعَ عُمَر بنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الرُّكْنِ الَّذي يَلِي البَابَ ممَّا يَلِي الحَجَرَ، أَخذَ يَعْلَى بِيَدِهِ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمَا طُفْتَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَقَالَ يعْلَى: بَلَى. فقَالَ عُمَرُ: فَهَلْ رَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُهُ؟ قَالَ يعْلَى: لا. فَقَالَ عُمَرُ: فابْتَعِدْ عَنْهُ، فَإِنَّ لَكَ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةً حَسَنَةً. [أحمد].

٢ ـ عَدَم الفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ : كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَأْخُذُهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ إذَا سُئِلَ ولَمْ يكُنْ يَعْلَمُ الإجَابَةَ، فيُفْتِي بِغَيْرِ عِلْمٍ. يُرْوَى أَنَّ الإمَامَ مَالِكًا قَدْ استُفْتِيَ فِي أَسْئِلَةٍ كَثِيْرَةٍ فَلَمْ يُجِبْ عَنْ بَعْضٍ مِنْهَا، وقَالَ: لاَ أَدْرِي.

٣ ـ التِزَامُ كَلاَمِ اللهِ وَهَدْيِ نَبِيِّهِ : عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَلْتَزِمَ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ وبِمَا أَبْلَغَ بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إنَّما هِيَ اثْنَتَانِ: الكَلاَمُ والهَدْيِ، فَأَحْسَنُ الكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ، وأَحْسَنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ. ألاَ وَإِيَّاكُم

وَمُحْدَثَات الأُمُورِ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ " [البُخاري].

*** ثمارُ التمسكِ بخلُقِ التوبة عنِ البدعِ :**

١- **حِفْظُ الدِّين** : الَّذِي لاَ يَبْتَدِعُ يَحْفَظُ عَلَيْهِ دِينَهُ، فَلاَ يعرِّضُ نَفْسَهُ لعقَابِ الله؛ قَالَ ﷺ: "فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شرةً (رَغْبَةً أَوْ نَشَاطًا) ولِكُلِّ شرة فَتْرَةً، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ، وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ، فَمَنْ كَانَتْ فتْرتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فتْرتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ" [البَيْهقِي].

٢- **طاعةُ اللهِ ورسولِهِ**: إنَّ فِي ابتعادِ المرءِ عَنِ الابتداعِ فِي الدينِ طاعةً للهِ ورسولِهِ. قالَ سليمانُ الدَّارانيُّ: لوْ لمْ يبكِ العاقلُ فيمَا بقيَ مِنْ عمرِهِ إلاَّ علَى تفويتِ الطاعةِ لكانَ خليقًا أن يُحزنَهُ ذلكَ إلَى المماتِ، فكيف يستقبلُ ما بقيَ مِنْ عمرِهِ بمثْلِ ما بقيَ مِنْ جهلِهِ.

٣- **حُبُّ اللهِ** : كُلُّ مَنْ لا يَبْتَدِعُ فِي الدِّينِ، وَيَتَّبِعُ مَنْهَجَ اللهِ وَرَسُولِهِ يُحِبُّه اللهُ سُبْحانَهُ وَيَغْفِرُ لَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

كُنْ تَائِبًا عَنِ الشُّبْهَةِ

الشُّبْهَةُ هِيَ مَا الْتَبَسَ عَلَى الإنْسَانِ حُكْمُهُ، فَلاَ يَدْرِي أَهِيَ مِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ.

عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، والحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مُلْكٍ حِمَى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحتْ، صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ" [متَّفق عليه].

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّوبَةِ عَنِ الشُّبْهَةِ بِمَا يَلِي :**

١- **الوَرَعُ :** الوَرَعُ يَقُودُ المُسْلِمَ إِلَى اجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ، حَيثُ يُولِّيهَا ظَهْرَهُ مُدْبِرًا غير مُقْبِلٍ، ولِذَا قَالَ أَحَدُ الصَّالحينَ: مَا وَجَدْتُ أَسْهَلَ مِنَ الوَرَعِ، مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَاتْرُكْه. قَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْحسنِ بنِ عَليٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَوْمًا: " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ " [الترمذي].

٢- اجْتِنَابُ المَكْرُوهِ : مِنَ الخطأ أنْ يُقَالُ عَـن المَكـرُوه أنَّهُ لَيْسَ حَرَاماً ، أوْ أنَّهُ لاَ إثْمَ عَلَى فاعله ، فَرُبَّما جَـرَّ المَكـرُوهُ إِلَى الحَرَامِ ؛ حَيْثُ لاَ تَدْرِي أهَذَا المَكْرُوهُ أقْرَبُ إِلَى الحَرَامِ أمْ إِلَى الحَلاَلِ ، فَيكُونُ الأَوْلَى تَرْكُهُ والابْتِعَادُ عَنْهُ .

٣- دِقَّةُ تَحرِّي الرِّزْقِ : يَتُـوبُ المَـرْءُ عَـن الشُّـبْهَةِ بِدقَّـة تَحرِّي الرِّزق الحَلاَلِ ، فَإذَا تأكَّدَ الإنْسانُ أنَّ رِزْقَهُ حَـلاَلٌ ، لَـمْ يُخَالطهُ شَـكٌّ ، فَإنَّـهُ بِـذَلكَ يكُـونُ أبْعَـدَ عَـن الشُّـبْهَةِ . وكَـانَ الصَّحابَةُ ـ رِضْوانُ اللهِ عَلَيهِم ـ يَتْركُونَ بعـضَ الحَـلاَلِ مَخَافَـةَ الوقوعِ فِي الحَرَامِ .

٤- رُؤيَةُ اللهِ لِلْعَبْدِ : إذَا أحَسَّ العَبْدُ أنَّ اللهَ تَعَـالَى يَـرَاهُ ، تَجَنَّبَ عَلَى الفَورِ الوُقُوعَ فِي كُلِّ مَا هُـوَ مَحْظُـورٌ أوْ مَـا يَشْـتَبِهُ عَلَيْهِ . جَاءَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيه السَّلامُ ـ إلَـى الـنَّبيِّ ﷺ وَسَـألَهُ عَـنِ الإحْسَانِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : " أنْ تَعبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ ، فَإنْ لَمْ تكُنْ تَرَاهُ ، فَإنَّهُ يَرَاكَ " [البخاري] .

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بخُلُقِ التَّوبَةِ عَنِ الشُّبُهاتِ :

١- التَّقْوَى : يَبْلُغُ الإنْسانُ بِتَوْبَتِـهِ عَـنِ الشُّـبُهَاتِ دَرَجَـةَ التَّقْوَى ، وَمَا أجَلَّها دَرَجَةً ! فقدْ رُوِيَ عَنْ عَطِيَّة السَّعْدِيِّ قَـالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ دَرَجَةَ اليَقِينِ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأسٌ " [التِّرمذيُّ وابنُ ماجَه].

٢- **الاطْمِئْنَانُ والسَّلامَةُ :** المُبْتَعِدُ عَنِ الشُّبُهَاتِ يَضْمَنُ سَلاَمَةَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ، حَيْثُ يكُونُ طَرِيقًا وَاضِحًا لاَ لَبْسَ فِيهِ وَلاَ غُمُوضَ، الأَمْرُ الَّذِي يُتِيحُ رَاحَةَ النَّفْسِ واطْمِئْنَانَ البَالِ.

قَالَ وَابِصَةُ بنُ مَعْبَد ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "جِئْتَ تَسأَلُ عَنِ البِرِّ والإِثْمِ؟". قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ مَا اطْمأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ " [أحمد ومُسلم والتِّرمذِي].

لاَ تَكُنْ مُصِرًّا عَلَى الذَّنْبِ

الإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَيْهِ، والعَزْمُ عَلَى المُضِيِّ فِيهِ دُونَ الرّجُوعِ عَنْهُ.

١-**اسْتِدْرَاجُ اللهِ لِلْمُذْنِبِ :** لِيَعْلَمِ المُصِرُّ عَلَى المَعْصِيَةِ أَنَّ مَا يَرَاهُ مِنْ طِيبِ العَيْشِ وَرَغَدِ الحَيَاةِ، إِنَّما هُوَ اسْتِدراجٌ مِنَ اللهِ لَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنيَا عَلَى مَعاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّما ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ " [أحمد].

٢- الذَّنْبُ يجلبُ العَذَابَ: عَلَى الْمُصِرِّ عَلَى الذَّنْبِ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ إِصْرَارَهُ ذَلِكَ يُورِّثُ العَذَابَ يَوْمَ القِيامَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٦].

٣- قُرنَاءُ السُّوءِ: رُبَّمَا يكُونُ الإِصْرَارِ عَلَى المَعْصِيةِ بسَبَبِ قُرَنَاءِ السُّوءِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨ ـ ٢٩].

٤- بَغْتَةُ المَوتِ: لِيَحْذَرِ الْمُصِرُّ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَنْ يأتيه أجلُهُ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ، فَسَاعَتَهَا يَنْدَمُ وَقْت لاَ يَنْفَعُ النَّدمُ، وَيَتَحسَّرُ يَوْمَ لاَ تَنْفَعُ الحَسَرات. نَصَحَ لُقْمَانُ الحَكِيمُ ابْنَهُ قَائلاً: يَابُنَيَّ، لاَ تُؤَخِّرِ التَّوبَةَ. فَإِنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً (فَجْأَةً).

* * *

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هل أنتَ مِنَ التَّوَّابِينَ؟

إِذَا كنتَ حريصًا على معرفةِ الإجابةِ عنْ هذا السؤالِ، فَأَجِبْ بصدقٍ عَنْ هَذِهِ الأَسْئِلَة:

١- هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ نَدِمْتَ عَلَى ذَنْبٍ ارْتَكَبْتَهُ؟

٢- هَلْ سَبَقَ لَكَ فِعْلُ كَبِيرَةٍ ورَجَعْتَ عَنْها؟

٣- هَلْ تَرَى صَغائِرَ الذُّنُوبِ لاَ تَستَوجِبُ التَّوبَةَ لِصِغَرِ شَأنِهَا؟

٤- هَلْ تَتَجَنَّبُ الوُقُوعَ فِي الشُّبُهَاتِ؟

٥- هَلْ تَتحرَّجُ مِنْ قَوْلِ: (لاَ أَعْلَمُ)، إِذَا سُئِلْتَ فِيمَا لاَ تَعْلَمُ؟

٦- هَلْ أَنْتَ مِمَنْ يَتَّبِعُ هَوَاهُ؟

٧- هَلْ تَسْتَصْغِرُ ذَنْبًا فَتُقْدِمُ عَلَى فِعْلِهِ؟

٨- هَلْ تَلْتَزِمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وتَبْتَعِدُ عَنِ البِدَعِ؟

٩- هَلْ تَتَجَنَّبُ المَكْرُوهَاتِ مِنَ الأُمُورِ وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً؟

١٠- هَلْ تُصِرُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ قُرَناءِ السُّوءِ دُونَ التَّفْكِيرِ فِي تَرْكِ صُحْبَتِهِم؟

سلسلة كن

١-كـــن أميـنـــاً	١٣-كـــن طائعـــاً	٢٥-كن متفائلاً
٢-كـــن بــــاراً	١٤-كـــن صادقاً	٢٦-كـــن متوكلاً
٣-كـــن تائـبـــاً	١٥-كـــن عـــادلاً	٢٧-كـــن محبـــاً
٤-كـــن حليمـــاً	١٦-كـــن عزيـــزاً	٢٨-كن مخلصاً
٥-كـــن حـييـــاً	١٧-كـــن عفـــواً	٢٩-كن مستقيماً
٦-كـــن راضيـــاً	١٨-كـــن عفيفـــاً	٣٠-كن مشـــاوراً
٧-كـــن رحيمـــاً	١٩-كـــن كتومـــاً	٣١-كن مضحياً
٨-كـــن رفيقـــاً	٢٠-كـــن كريمـــاً	٣٢-كـــن معتدلاً
٩-كـــن زاهـــداً	٢١-كـــن مؤثـــراً	٣٣-كن نصوحاً
١٠-كن شـــاكراً	٢٢-كـــن متأنيـــاً	٣٤-كـــن ورعـــاً
١١-كن شـــجاعاً	٢٣-كـــن متعاوناً	٣٥-كـــن وفـيـــاً
١٢-كـــن صابراً	٢٤-كن متواضعاً	

٨١٠٠٥٤